نماذج من رسائل الأمير عبد القادر الديوانية

عبد القادر مزاري

Les Lettre Administratif de Prince ABDELKADER

Mazari Abdelkader

المدرسة العليا للأساتذة - مستغانم -

mazariabdelkader@yahoo.fr

الملخص:

من المعروف أن الرسالة أدت في الماضي دورا كبيرا ومازالت، لما لها من أهمية في تصريف شؤون الأفراد والمجتمعات إلا أنها تختلف في تأدية هذه المهام خاصة تلك التي تهتم بشؤون الحكم والتي تسمى (الإدارية)، وما يزيد من تعزيز فضول المتلقي على التقرب من هذا النوع من الرسائل هو عندما تقترب من الذين حكموا البلاد وأداروها بسياسة حكيمة ذلك ما سوف نعرفه مع أحد زعماء الجزائر من خلال هذه المقالة، وبالتالي نتعرف على "الأمير عبد القادر" وعلى مراسلاته في الحرب وفي السلم.

الكلمات المفتاحية: الديوان ؛الرسالة ؛الحكم ؛ الأدبية ؛ الفن ؛الملك ؛ الأسلوب ؛ العصر

La lettre a de tout temps eu grande importance. Elle a joué et joue toujours un rôle primordial dans la facilitation des affaires d'ordre personnel ou général.

Seulement, elle diffère dés lors qu'il s'agit de la gestion de l'administration du pouvoir en place et est désignée par le vocable 'lettre administrative ».

Celle-ci éveille l'intérêt du chercheur afin qu'il comprenne la nature de ces missives qui émanent de personnalités politiques de l'histoire de l'Algérie qui ont eu à gouverner par le passé le pays et plus particulièrement quand il s'agit d'un gouverneur de la stature de " l'Emir Abdelkader ".

Il s'agit donc d'étudier ce genre de lettres rédigées soit en période de paix ou de guerre.

Mots-clés: Diwan, Message, Littéraire, Art, Roi, Style; l' époque

مقدمة:

يقال : إن فن الكتابة بدأ بـ (**عمد الحميد الكاتب**) وانتهى بـ (**ابن العميد**)، وأسس لها (**القاضي الفاضل**) "،هذه مقولة تطبق على الرسالة المتميزة، وإذا ما تحدثنا عن الرسالة فهي فن من الفنون الأدبية القديمة التي عرفها العرب في تاريخهم الجاهلي، واعتمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته ملوك عصره لتبليغ الدعوة الإسلامية، وأن هذا النوع من النثر قد ظهر من رحم النثر الإيجازي ليصير نثرا تفصيليا، حيث جاء هذا الانتقال بسبب امتداد ملك العرب وسلطانهم، واختلاطهم بغيرهم، وتغير نمطهم معيشتهم وتحضرهم، وتنظيم شؤون دواوين حكمهم .

ومنه ظهر هذا الفن بشكل مغاير على ما كان عليه النثر الإيجازي، فعمد فيه أصحابه إلى التطويل في المواضيع، واعتماد الترادف بأسلوب جذاب، وعبارات مسجوعة فجاءت الرسائل مع (**عبد الحميد**) تشبه الكتب في معالجة موضوعاتها معالجة تفصيلية وظلت الكتابة محافظة على ميزتها المثقلة بالسجع، وأنواع البديع حتى أصبحت صناعة محضة في عصر (**ابن العميد**)، الذي عمد إلى الاهتمام بالمبنى أكثر من اعتماده على المعنى محافظا في ذلك، على أساليب اللغة العربية الرصينة.

إلا أن الفضل في تأسيس الرسائل الديوانية وتميزها عن غيرها يعود إلى (**القاضي الفاضل**) في عصر الدولة الأيوبية. حين اهتم بفن الرسالة، كما اهتم بها حكام عصره وخصصوا لها ديوانا خاصا أسموه (ديوان الإنشاء) وجعلوا رئيسه من كبار الكتاب والأدباء وقبل الحديث عن الرسالة في عهد الأمير لابد من أن نعرج على مفهوم الرسالة ولو بإيجاز.

1 - فن الرسالة:

من بين الأجناس الأدبية التي عرفها ميدان النثر الأدبي أدب الرسائل، وهو فن من الفنون التي رافقت مناحي الحياة السياسية والثقافية، والاجتماعية لما له من مكانة بالغة الأهمية في التعبير عن شتى مناحي هذه الحياة المادية، والروحية والاستراتيجية والاجتماعية، وقد تطور هذا الفن منذ القدم بتطور العصور والأزمنة، كما أنه تدرجت مراحله في التطور والتعقيد ولعل أول ما يتبادر إلى ذهن المتلقي هو رسائل (**عبد الحميد الكاتب**) الذي اتخذ كنموذج رسم معالم الرسائل الأدبية كفن مستقل بذاته.

وإذا كانت الرسالة هي ما يكتبه البات إلى المتلقي، فإنها تحمل في طياتها كثيرا من المسرات والأشواق وحتى الأحزان والمأساة، ويسمى ذلك بالرسائل الإخوانية. أما إذا كانت الرسائل تعني بتصريف شؤون الحكم وتنظيم أمور السياسة فتسمى الرسائل الديوانية أو السياسية. وهناك ضرب آخر من الرسائل وهو ما يطلق عليه بالرسائل الأدبية، فهي التي تعرض قضية من القضايا الأدبية، أو إبداء رأي الكاتب نحو موقف معين كرسالة (**ابن المقفع**) في الأدب الكبير، أو رسالة الغفران (**لأبي العلاء المعري**).

فالرسالة إذن هي فن قديم في آداب الأمم. وقد اهتم العرب بها اهتماما كبيرا، إذ إنهم نوّعوا من أغراضها ورسموا مناهجها، وميزوا مواضيعها، واستحدثوا لها قواعد [1]. ومنه فإن فن المراسلة يدل على معنى واحد، وهو التخاطب بالكتابة والتراسل بهذا المعنى القديم في آداب الأمم، وقد عني العرب به عناية خاصة، فنوعوا في أغراضه وحددوا مناهجه وميزوا أنواعه، واستخلصوا قواعده وأصوله [2]. وإذا كان مفهوم الرسالة يتلخص في ذلك فماذا نعني بالرسالة الديوانية ؟ وما هي الأدوار التي أنيطت بها؟ وكيف كان أسلوبها؟

2 - الرسالة الديوانية:

الرسالة الديوانية هي تلك التي تعنى بتسيير شؤون الحكم حيث يرسلها الديوان أو الإدارة إلى هيئة من الهيئات سواء أكانت مدنية، أو عسكرية، ولقد استخدمها العرب قديما في تسيير شؤون حكمهم. حيث شملت موضوعاتها شؤون السلطة وعلاقتها بالرعية فهي تعتمد على "الكلام، وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات، والمسامعات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات، والهدن، والأمانات، والإيمان، وما في ذلك ككتاب الحكم وغيرها"[3]،وقد اتفق النقاد على ألا تكون الرسائل الديوانية مثقلة بالأساليب الشعرية المعتمدة على المحسنات البديعية، والزخرف اللفظي بالقول : وجب أن ننزه المخاطبات الرسمية عن المنثور المقفى. لأن أساليب الشعر تجنح إلى استعمال العواطف، وخلط الجد بالهزل، والإطناب في الأوصاف، والإكثار من الأمثال والتشبيهات والاستعارات، وهو ما لا يستقيم وخطاب الجمهور عند الملوك بالترغيب، والترهيب إذ ينافي ذلك ويباينه [4]، وإذا كان هذا تعريف موجز فإننا رأينا أنه يفي غرض موضوعنا هذا.

وعليه يطرح السؤال في الكيفية التي كانت عليها الرسالة الإدارية أيام حكم (**الأمير عبد القادر**) وفيما كانت مواضيعها؟ وكيف كان أسلوبها؟ وما هي مضامينها ؟ وهل كانت نمطية التعبير؟ أو كانت هناك اجتهادات أملتها ظروف المعيشة وقتها ؟ أو أنها كانت تخاطب كل مرسل إليه بأسلوب خاص؟ ذلك ما سوف نعرفه من خلال هذا البحث الذي يقربنا من تسير شؤون الحكم في عهد الأمير عبد القادر الجزائري.

3 - الرسالة في عصر الأمير عبد القادر:

لقد سبقت الإشارة إلى أن فن الرسالة يندرج في النثر الفني، ولقد عرف هذا النثر انحطاطا في عصر الأمير في الأسلوب والموضوعات، وكان السجع هو زينته وجماله وقلّ ما نجد أحدا من الكتاب قد تحرر من قيد السجع. ومن بين هؤلاء القلائل الأمير (**عبد القادر بين محي الدين**)، الذي استطاع أن يتحرر في كتاباته الأدبية أحيانا، إذ أنه كان يميل إلى الترسل مع تبسيط العبارة حتى يكاد يصل إلى العامية أحيانا، أما عن أسلوب مؤلفاته فهو متقيد بالسجع السائد في ذلك العصر بين الكتاب والمؤلفين، وما كتاب " المواقف " الذي كان محاكيا فيه (**محي الدين بن عربي**) إلا دليل على ذلك، بالإضافة إلى ذلك فإن (**الأمير**) كان يبتعد كثيرا عن السجع في مؤلفاته المندرجة تحت النثر العلمي الأدبي، وهو ما وجدناه في "ذكرى العاقل " الذي صاغه بأسلوب واضح رصين متناسق الترتيب فكان درة في الأدب النثري بالجزائر في القرن التاسع عشر [5]، وهي ميزة تحسب له في تنويع أسلوبه.

بالإضافة إلى ذلك فإن رسالته "وشائج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب "، هي رسالة في الفنون الحربية تتضمن ملخص الأنظمة، والقوانين العسكرية وأنواع المكافآت والعقوبات التي سنها (**الأمير**) لجيشه الفتي بأسلوب يكاد يخلو من السجع، وهي تعكس مكانته في إدارة الأمور الحربية، وبعد نظر في أمور الجيش مع حداثة عهده بالحرب، ما جعل المهتمين بالترجمة يولونها اهتماما بالغا، فكانت أول ترجمة لهذه الرسالة باللغة الفرنسية وقد ترجمها (**ورسيتي**) في كانون الأول عام 1948 وحرص على طبعها الجنرال (**ماري**) تحت عنوان "قوانين الأمير عبد القادر إلى جيشه النظامي " وكانت أول طبعة عربية للكتاب في آذار 1848 مع مقدمة باللغة الفرنسية ثم توالت بعد ذلك طبعات الرسالة، وكان آخرها طبعة الأستاذ المحقق المحمد بن عبد "[6]

4 - الرسالة الإدارية في عهده :

إن الحديث عن الرسالة في عهد (**الأمير عبد القادر**) يقودنا إلى الحديث عن الكتابة في هذا العصر وعن واقع الأمة آنذاك. أما عن النثر الفني في هذا العصر، فكان منحطا في أسلوبه، وموضوعاته، وكان متحررا من قيود السجع حتى في كتاباته الأدبية أحيانا، ولم تستثن القاعدة هنا كتابات (**الأمير عبد القادر**) الأدبية. فقد كان يميل في رسائله إلى "الترسل مع تبسيط العبارة حتى يكاد يصل أحيانا إلى الأسلوب العامي وإذا انتقلنا إلى أسلوبه في مؤلفاته المشهورة، فإننا نجده قد يلتزم السجع غالبا كما فعل في كتابه المواقف، ولعل محاكاته لـ (**محي الدين بن عربي**) وهو يسجع في كتبه الصوفية هو الذي حمله على السجع"[7]، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون أسلوب (**الأمير**) واضح العبارة متناسقا في أفكاره فكان قمة في الأدب النثري بالجزائر في القرن التاسع عشر.

وما ميز الكتابة في هذا العصر ضعف اللغة العربية لأنه "لما أصبحت اللغة التركية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر، والأمصار أخذ شأن العربية في الاضمحلال، وتناقصت الرغبة في صناعتها، وقل النابغون فيها وعجز الكتاب أن يكتبوا من إنشائهم فوضعت دواوين متابعة تشمل عدة صور من المكاتبات المعتادة يستعير منها الراسل صورة تناسب غرضه "[8]. وذلك من الأسباب التي جعلت اللغة العربية تعرف التراجع في رصانتها.

5 - رسائل الأمير عبد القادر :

من الآثار التي تركها (**الأمير عبد القادر**) في النثر الفني آنذاك مجموعة من الرسائل منها: (وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب)، وهي رسالة تتضمن ملخص الأنظمة والقوانين العسكرية، وأنواع المكافآت، والعقوبات التي سنها الأمير لجيشه، وهي رسالة تدل على مكانة الأمير وحكمته، وحسن تدبيره، وبعد نظره.

وهناك (المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد)، وهي عبارة عن رسالة رد فيها برد مطول على الطاعنين في الدين الإسلامي حيث فضح فيها أولئك الذين عميت أبصارهم عن كل فضيلة في الدين الحنيف، ورضوا بإتباع أديان غيرهم متأسين في ذلك ببدع المارقين، وأهل النفاق، وهذا الكتاب بما فيه من حجج دامغة، وأدلة منطقية ساطعة يثبت وجود الخالق العظيم لهذا الكون الهائل، ويبرهن على مدى صحة الكتب السماوية وصدقها[9].

وفي (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) وهي رسالة مطولة ضمت مسائل التاريخ والفلسفة والدين والإصلاح الاجتماعي، وهي رسالة في الحكمة والشريعة وتوافقها، كما أن للأمير رسائل متنوعة كانت في معظمها ردا على أسئلة مجالس العلماء التي كانت ترده من كبار علماء الإسلام ومفكري الغرب، وقد نتلخص في :

" رسائل سياسية كان يتبادلها مع ملوك الدول ورؤساء حكوماتها.

- رسائل سياسيات موجهة إلى الزعيم اللبناني يوسف بك كرم.

- رسائل فكرية تبادلها مع الأسقف الفرنسي (دي بوش)، الذي كان أسقف مدينة الجزائر آنذاك.

- أجوبة الأمير على العشرين سؤالا وجهها إليه الجنرال (دوماس).

وأما عن واقع الأمة، وكما لا يخفى أن المجتمع الجزائري كان يعيش في هذه الفترة حملة مسعورة من قبل العدو الفرنسي، الذي أراد طمس كل مقومات الشعب الجزائري وإبادته عن آخره، وهذا من بين الأسباب التي حالت دون وصول العمل الأدبي لـ(**الأمير عبد القادر**) كاملا. بالإضافة إلى الانهماك في الحرب وضياع معظمه واستيلاء العدو على مكتبة (**الأمير**) الكبرى في عاصمته الثانية (الزمالة) التي أودع فيها مذكراته وبعض من أشعاره.

6 - رسائل الأمير عبد القادر الديوانية:

لقد نوع (**الأمير**) في رسائله بين الحدّه و اللّين في تعابيره، وذلك حسب مقتضى الحال، وهو يخاطب المستعمر ينتقي من الألفاظ ما يكون فيه وقع عليه، وحين يخاطب أهله وأصدقاءه تراه ينتقي منها ما يعكس إنسانيته النبيلة، ومن الرسائل التي كتب نذكر:

رسائل موجهة إلى الأهل وإلى الدولة الإسلامية : كرسالته (لأهل جيجل) في 17 شوال 1251 هـ 5 / فيفري 1836 ورسائله (لمركز الخلافة العثمانية)، ورسالته (للصدر الأعظم) في 9 شوال 1257 هـ -الأربعاء 24 نوفمبر 1841 م، ورسائله إلى (الإيالة التونسية)، ثم رسالته للوزير (خير الدين التونسي) في 1248هـ /1886م

أما الرسالة الموجهة للعدو وهي رسائل حربية نذكر منها: رسالته (**للجنرال ديميشال**)، ورسائله لملوك أوروبا، ورسالته لملكة إسبانيا، (**إيزابيلا الثانية**). ثم إن هناك رسائل موجهة إلى الأصدقاء الفرنسيين نذكر منها : رسالته للأمير (**لبواسون**).

7 - نماذج من رسائل الأمير:

لقد تبادل (**الأمير**) رسائل كثيرة مع شخصيات أوروبية مختلفة دارت مواضيعها في السياسة وشؤون الحرب وطلب المساعدة من أصدقائه للحد من الهمجية الاستعمارية التي فرضها العدو الفرنسي على الشعب الجزائري وبذلك أراد أن يشرك الأوروبيين في ثني عزيمة فرنسا عن همجيتها، فراسل حكام وملوك العالم سعيا منه إلى كسب تأييد الرأي العام الأوروبي والعالمي، كما أنه نوع في رسائله فجاءت على النحو الأتي:

- طلب الدعم والتأييد والعون باسم الأخوة الإسلامية من العثمانيين شاكرا فضلهم في بعضها، ومهنئا في آخرى.

- التشاور وتبادل الآراء مع سلطان المغرب قبل استسلام هذا الأخير، ورضوخه إلى الشروط الفرنسية.

- توضيح موقفه وموقف الإسلام من أحداث فتنة دمشق في رسالته إلى المجاهد (**الإمام محمد شامل**)[10].

وسنحاول أن نتعرض إلى بعض هذه الرسائل التي اخترناها.

8 - رسالته إلى ملكة إسبانيا (إيزابيلا الثانية):

لم يستهل (**الأمير**)رسالته بالبسملة والحمدلة، والثناء على الله كما كان يفعل مع المسلمين، إنما بدأها بـ : "إنه من أمير المسلمين (عبد القادر بن محي الدين)،أعانه الله أمين إلى عظيمة جنود إصبنيول(يقصد بها الإسبان) (...)السلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته"[11]، ثم وصف قوة الإمبراطورية الإسبانية عبر التاريخ، ووقوفها إلى جانب القضايا العادلة وهي عبارة عن استمالة الملكة، وكسب عطفها والوقوف إلى جانب القضية الجزائرية فقال : فإن جنسي إصبنيول هو الجنس العظيم الذي كانت تظهر منه الأفعال العظام في الزمان القديم وهم أهل المملكة، العظيمة والرياسة الفخيمة، والآن أنه لا يخفاكم حالنا وأمرنا من الفرنصيص فلا نعرفكم به، فإنكم عارفون بكل شيء من أمورنا وأمور الفرنصيص [12]، ثم يذكرها بأنها لا يخفى عليها ما تفعله فرنسا في الجزائر . فيقول وأردنا من دولة الصبنيول أن تتدخل في كلام الخير : "فإن جعل الله الخير على أيديكم تكون المزية لكم عندنا وعند الفرنصيص، وإن قدر الله برجوعنا إلى الوطن نكون معكم كما تحبوا إن شاء

الله. ومازال الملوك من قديم الزمان يمشون في الخير بين المتعادين حتى يوفقوا بينهم"[13]، ثم يختتم رسالته بعد أن شرح أمر الأمة بالقول:

"السلام والفلاح الذي يتبع طريق الحق ورحمة الله وبركاته " [14]، وهي خاتمة لا تكون إلا لغير المسلمين.

9 - رسالة الأمير إلى أهل (جيجل) [15]:

دار مضمون هذه الرسالة حول الدعوة إلى الجهاد، والحث عليه في سبيل الله والوطن، وهو يخاطب أهل (جيجل)، وقد رسم نقاطا بعينها يريد من ورائها إثارة الحمية الدينية في النفوس، وإيقاظ الروح القبلية، كما أنه وجه خطابه إلى أشراف القوم، وعلمائهم وأعيانهم وقد استهل رسالته إلى أهل (جيجل)، كما كان يفعله الخلفاء في العصر الإسلامي في تضمين رسائلهم اقتباسات من الآيات القرآنية، التي كان دورها التوصية بالتقوى وضمان لعدم الردة [16]، في طالب العون وتلبية نداء الجهاد في سبيل الله : "أصلحكم الله حالا واستقبالا، وسدد رأيكم ووفقكم لأمارات العصمة جلالا وجمالا، وسلاما على محافلكم السامية، يعم مرابعكم الناهية ويتحفها بتحفة الكرامة الباهية، ورحمة الله وبركاته ما ترقيت الطوالع بأضوائها زاهية"[17]، ثم ينتقل إلى الإفصاح عن غيرته على الدين منتظرا مشاركة أهل (جيجل) الجهاد، فيذكر خصالهم بالقول : "أما بعد فإن الغيرة الإسلامية تحقق لأمثالكم والاعتياضات الأنفية تجب على أقوالكم وأفعالكم، وكيف لا والعدو - أذله الله - جال في بلاد المسلمين وصال وسعى في خراب مدنهم وقصورهم بمساجدها المعدة للغدو والآصال وحدت شوكته على القريب والقاصي وتضافرت جيوشه على إجلاء المطيع منهم والعاصي وأجمع عزمه وكيده في جميع بره، فصار ضوء الإسلام ظلام ليله حتى كاد يخفى جدول فجره "[18].

على هذه الوتيرة يمضي (الأمير) في استعراض الأحداث، وهو يخاطب القبائل المسلمة، ويشحذ همها لمقارعة العدو الكافر الذي داس على كل مقومات الشعب ودنس مقدساته، وهو يذكرهم أنه دافع على هذه المقدسات لرد العدو الغاشم فيقول :"وكم اشتغلنا بمدافعته مرارا وتداولنا معه في الحروب سرا وجهارا إلى أن انكسرت الرماح، وتدنست بنادق الرماح، و قضت الصناديد نحوبها، وتعمدت الفرسان نصبها ولغوبها، ولازلنا على ذلك التدافع والتناول إلى أن تفرد السليفة وتنعدم دور المناصب المنيفة غير أننا خشينا تفاقم الأمر وتزايده من قطر إلى قطر فنود من صلاح رأيكم الناجحة، وسداد إشارتكم الصالحة أن تزيدوا في إخوانكم القوة السادة وتنشروا أسرهم باسترسال

المادة"[19]، وبذلك يكون (**الأمير عبد القادر**) قد وصل إلى غرضه، والمتمثل في بث روح الحمية في النفوس ومساعدة القوم في تخليص الوطن من هيمنة المستعمر، وكان لذلك وقع في نفوسهم عندما قال: "ونجدتكم وسياستكم في تدبير صنائعكم المحكمة مع غلظتكم على الكفار وشدتكم في ثبات الصفوف الحربية معلومة عندنا بالضرورة حسبما دونت خصالكم الحميدة، وأفعالكم الرشيدة في تاريخ وهران ووقائعها" [20] .

وبهذا يكون (**الأمير عبد القادر**) قد قصد في رسالته أشراف القوم، لأنه يدرك أن الأمر بأيدي رؤساء العشائر وهاهو يصيف قائلا : "نرعب في سراريكم أن تجمعوا جموعكم وتكونوا في قصد إعانتنا رجالا وركبانا لتتم لنا المزية دينا ودنيا، وتحظوا بالحظوة العليا ويكون ابتداء قدمكم إن شاء الله عقب عيد الأضحى. أول أبرير بعد أن يقدم إلينا أعيانكم لنستشيرهم في الكيفية والهيئة التي يحصل المراد منا "[21]. كما أنه دعم رسالته بالأحاديث النبوية الشريفة، واقتبس من الآيات القرآنية، جاعلا في الحسبان أن الذكر ينفع المؤمنين حينما ذكرهم بالقول : "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والمسلم كالجسد الواحد يتألم الجميع بتألم البعض، وتعاونوا على البر والتقوى، إنما المؤمنون إخوة يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض"[22]. ويختم رسالته بالقول :"ولا يختلف أحد من صناديدكم من الفرسان والعساكر وإن اكتفيتم بنظر المكتوب، ولم تجيبوا داعي الله فهذا الواجب في حقنا وحسابنا جميعا على الله، والله المستعان وعليه التكلان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم"[23].

10 - نموذج من رسائل الحرب:

راسل الجنرال (**دي ميشال**) (**الأمير عبد القادر**) ثلاث مرات إلا أنه لم يلق الرد منه إلا في آخرها، لأنه كان غاضبا منه عما يفعله هو وبلاده بالشعب الجزائري في حروبهم الهمجية، وتعذيبهم لأبناء أمته والتنكيل بهم كان قد أوقع جيش (**الأمير**) بأسرى في هذه الحرب، وهو ما دفع الجنرال إلى عدم الملل من مكاتبة (**الأمير**) لمعرفة مصير الأسرى من جنده، ونظرا لروح (**الأمير**) التي شبت في كنف الدين الإسلامي الحنيف، وسماحته فإنه لا يسيء إلى الأسرى، وإنه رد على الجنرال بالقول: "فقد وصلنا كتابكم المتضمن أفضل النصائح فقدرناها وعلمنا أنكم تحثوننا في كتابكم، الثلاثة على الإفساح عن الأسرى وتندبون حظهم، مع أننا نعني بشأنهم عامة الاعتناء

والإفساح عنهم ليس له أهمية لدينا غير أن الحالة التي نحن بها لا يسمح لنا أن نردها بدون فدية، فإذا رغبتم في الاتفاق أقبل تسليم الأسرى إليكم عند المعاهدة بيننا"[24]، من خلال ذلك بين (**الأمير عبد القادر**) أنه يحافظ على شعبه، ويسعى إلى استرجاع حقوقه، كما أنه لا يتنازل عن قيمه الحميدة وإنسانيته النبيلة فهو لا يخاف العدو في الحرب، لأنه مؤمن بقضيته كما يؤمن بإحدى الحسنيين، إما النصر أو الاستشهاد.

ختاما فإننا أمام بعض من النماذج التي تظهر ما للرسائل الرسمية (الديوانية) من تأثر واضح بالحياة السياسية، والاجتماعية السائدة في تلك الحقبة، التي أظهرت في مجملها تلك المظاهر الخلقية، والحضارية التي اتصف بها (**الأمير عبد القادر**) من خلال معاملة الناس وإعطاء لكل ذي حق حقه، كما أنه وبالإضافة إلى حمله للسيف في مقاومة العدو، فقد استطاع أن يحمل القلم للرد على خصومه، واكتسب كثيرا من الحلفاء ممن كان يستشيرهم ويلجأ إليهم في وقت الشدائد، ما يبين أسس تلك العلاقات التي كانت تربط بين (**الأمير**) والبلدان المختلفة، في إقامة السلم أو الإقرار بالحرب.

الهوامش:

1- ينظر الطاهر محمد توات : أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1993 ص 170.

2- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار الملايين بيروت، ط1 1979، ص 122.

3- الطاهر محمد توات: مرجع سابق ص 81 وما بعدها.

4 ينظر : عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون (مقدمة) م 2، دار الكتاب اللبناني بيروت 1983، ص 1094 وما بعدها.

5- ينظر: الأمير عبد القادر : جوانب من شخصيته ومختارات من مؤلفاته، عدد خاص من آمال العدد 8 بتاريخ 5 جويلية 1970 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ط2، ص 21، 23.

6- فؤاد صلاح السيد: الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985 ص 92.

7 - الأمير عبد القادر : جوانب من شخصيته، ومختارات من مؤلفاته، عدد خاص من مجلة آمال ع8 بتاريخ 05/7/1970، ش.و.ن .ت الجزائر 1983،ط2، ص 21-23.

8 - أحمد الأسكندري ومصطفى عناني: الوسيط في تاريخ الأدب العربي وتاريخه، ص 225 .

9 - ينظر : فؤاد صلاح السيد: الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطني با، الجزائر عصر 95.

10- عبد القادر الجزائري: الديوان، شرح وتحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت 1964 ص 266.

11- يحي بوعزيز وميكيل دو إيبالزا : الحديث في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985، ط2، ص51.

12- المرجع نفسه ص51.

13- المرجع نفسه.

14- يحي بوعزيز وميكيل دو إيبار دو إيبالزا، مرجع سابق.

15- جيجيج منطقة جزائرية في الغرب الجزائري كانت تابعة لسلطان المغرب أيام الاحتلال الفرنسي.

16- مي يوسف خليف: النثر الفني بين صدر الأموي. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع مصر 1997، ص 141.

17- فضيلة تكور، فاطمة الزهراء جديد، بختة إبراهيم : تعليق حول نداء الأمير عبد القادر لأهل جيجيج مع وثيقة النداء مجلة التاريخ عدد خاص ص 99.

18- المرجع نفسه ص 99.

19- المرجع نفسه ص 99.

20- المرجع نفسه.

21- المرجع نفسه ص 100.

22- المرجع نفسه.

23- المرجع نفسه.

24- المرجع نفسه

25- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر شرح وتعليق د.ممدوح حقي دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ط2 ج2 ص 317.